تياساً على ناموس بقاء الاصلح اخذ المكروب يرتقي مع الانسان حتى بلغا غاية القوة والارتقاء وحينئذٍ فاما ان يكون النصر الاخير للانسان او للمكروب

ومهما يكن من ذلك فلا يصحُّ ان تقف مكتوفي الايدي خشية ذلك الخطر المتوقع فان مكروب الجدري لم يزد قوة منذ شرع الانسان في استعمال التطعيم على ما نظن ولكن يقال من الجهة الاخرى ان قرناً من الزمان ليس بالزمن الطويل في تاريخ حياة الحيوان · انتهى ملخصاً

مفاخر البطالسة

بطليموس الخامس الملقَّب ايفانس

هو ابن بطليموس الرابع من اخته ارسنوي ولد سنة ٢١٠ قبل المسيح واشركهُ ابوهُ معهُ في الملك في السنة الثانية من ولادته وخلف اباهُ وعمرهُ خمس سنوات · وليس في الآثار المصرية التي كشفت حتى الآن ما يُعلم منهُ كيف استوى على عرش الملك ولا ما هي الحوادث المهمة في ملكهِ فلا بدَّ من الاكتفاء بما ذكرهُ المؤرخون من هذا القبيل

قال بوليبيوس المؤرخ انهُ بعد موت بطليموس فيلوباتر بثلاثة ايام او اربعة اقام اغاثوكليس وسوسيبيوس دكَّة واستدعيا الحرس الخاص وقوَّاد الفرسان والمشاة وصعدا على الدكة واعلنا موت الملك والملكة وطلبا ان تجدَّ البلاد عليهما حسب المعتاد ثم وضعا تاجاً على رأس ابنهما وناديا به ملكاً باسم بطليموس ايفانس وقرأا وصيَّة مزورة يقال فيها ان الملك جعلهما وصيين على ابنهِ · ثم اتيا بحقتين من الفضة قالا ان في احداهما رماد الملك وفي الاخرى رماد الملكة · وكانت الحقة الاولى تتضمن رماد الملك حقيقة واما الحقة الثانية فلم يكن فيها شيء

ولما شاع موت الملكة حزن الشعب عليها حزناً مفرطاً لانهم ظنوا انها قتلت بيد اولئك الاثمة · لكن اغاثوكليس وزَّع على الجند راتب شهرين هبةً واخذ عليهم يمين الطاعة وجعل فيلامون قاتل الملكة والياً على كيرين وسلم الملك لامهِ واخيهِ اغاثوكليا واوفد الى انطيوخس ملك سورية يطلب منهُ البقاء على صداقة مصر والى فيلبس ملك مكدونية يستنجدهُ بداعي القرابة لبطليموس · والى رومية واليونان يستدعي المستوزقة منهما · ثم عكف على السكر والخلاعة والفحش في ذلك حتى انَّت البلاد منهُ ومن اعوانهِ

وكان في بلوزيوم والي اسمهُ تلبوليموس فلما رأى ان اغاثوكليس قبض على زمام المملكة

خاف عاقبة ذلك فجعل يحشد الجنود ويجمع الاموال ويروم الولائم لاعوانه ويجاهر فيها بانتقاد الخطة التي جرى عليها اغاثوكليس واخته وبلغ اغاثوكليس ذلك فاتهم تلبوليوس بالخيانة وادعى انهُ استدعى انطيوخس ملك سورية لاجتياح مصر لكي يوغر صدور المصريين عليهِ لكنهُ حبط سعياً لان الشعب كان يحب تلبوليوس ويرجو النجاة على يدهِ من اغاثوكليس واختهِ . ولما تفاقم الخطب جمع اغاثوكليس الحرس المكدوني ووقف امامهم هو واختهُ والملك وجعل يمسح عينيهِ مدعياً ان الدموع تمنعهُ من الكلام ثم ضبط عواطفهُ ورفع الملك بين يديهِ وقال خذوا هذا الطفل الذي سلمهُ ابوهُ وهو على فراش الموت لهذه السيدة (واشار الى اختهِ) خذوهُ ايها المكدونيون واحتفظوا بهِ لان حب هذه السيدة لهُ لا يكفي لحمايتهِ من الذين يتوون اغتيالهُ فانتم المسؤولون عنهُ منذ الآن وحياتهُ في يدكم لانهُ قد شاع وذاع منذ زمن طويل ان تلبوليوس يتطاول الى ما هو فوق طوره وقد عين اليوم الذي يضع فيهِ تاج الملك على رأسهِ . وانتم لستم مكلفين تصديق كلامي لكن اسألوا الذين اتوا من عندو الآن تعلموا صدق قولي

ثم احضر اليهم رجلاً قال انهُ رأى بعينهِ الجنود يهيئون الضحايا ليضعوها ساعة وضع التاج على رأس تلبوليوس فلما سمع الحرس المكدوني ذلك صاحوا باغاثوكليس وهزأوا بهِ فخرج من بينهم كاسف البال ولم يرَ سبيلاً للانتقام من تلبوليوس الا بان قبض على حماتهِ وامر ان تجرَّ في الشوارع مكشوفة الرأس وتطرح في السجن فزاد غيظ الشعب منهُ وحنقهم عليهِ . واجتمع الجنود المكدونيون وتآمروا فاجمع رأيهم على التنكيل بهِ وباعوانهِ حتى اذا خيم الليل امتلأت الشوارع بالنوغاء وبلغ اغاثوكليس ذلك فقام هو واهل بيتهِ واخذ الملك بيدهِ وحاول الهرب بهِ وكان المكدونيون قد استولوا على جانب القصر الذي فيهِ الملك وطلبوا ان يسلم اليهم فتوسل اغاثوكليس الى حرَّاسهِ ليقولوا لهم انهُ امتنع من الوصاية على الملك ومن كل المناصب التي لهُ ولا يطلب منهم الا ان يعفوا عنهُ وعن ذويهِ وبعث اليهم واحداً من حرسهِ فكادوا يقتلونهُ . ولما رأى ان لا مناص لهُ منهم مدَّ يديهِ اليهم من خادعة صغيرة في الباب وكشفت اختهُ اغاثوكليا عن ثديها وهي تقول ارحموني فمن هذين الثديين ارضعت الملك لكن توسلاتها وتوسلات اخيها لم تجدهما نفعاً بل اصرَّ المكدونيون على طلب الملك منهما فارسلاهُ اليهم مع الحرس الخاص فاركبهُ المكدونيون على فرس وساروا بهِ بالمتاف الى ساحة المدينة واقاموهُ على دكة وسألهُ سوسيبيوس قائلاً ألا تسلم للشعب كل الذين اذوك واذوا امك فأومأ برأسهِ علامة القبول فقال سوسيبيوس للشعب ان الملك اباح لكم ان تقتصوا

من كل الذين ادّوهُ واذوا امهُ فقابل الشعب كلامهُ بالهتاف والتصفيق وذهب الجنود ينتشون عن اغاثوكليس واخذوه فتبضوا عليهِ وجروهُ ونتفوهُ . ثم قبضوا على اغاثوكليا واخيها وجردوهنَّ من ثيابهنَّ وجرُّوهنَّ عاريات وجرُّوا امهنَّ معهنَّ وسلموهنَّ للشعب فقتلوا عيونهنَّ ومزقوا لحمهنَّ تمزيقاً حتى لم يبقَ لمنَّ اثر . وكان فيلامون قاتل الملكة ارسنوي قد عاد من كيبرس وعرف بعودتهِ بعض الفتيات اللواتي تربين مع الملكة فهجمنَ على بيتهِ وقتلنهُ رجماً بالحجارة وخنقنَ ابنهُ وهو طفل وجررنَ زوجتهُ في الشوارع عارية وقتلنها . واذا أُطلق العنان للغوغاء فلا حدَّ لنظائهم ولا سيما في هذا القطر

وجُعل تلبوليوس وزيراً وكان مبذراً متلافاً فانتقلت السلطة من يدهِ الى يد ارستومينس

وتحالف انطيوخس ملك سورية وفيلبس ملك مكدونية لما بلغهما موت بطليوس الرابع ونهضا لاسترجاع ما تملكهُ مصر من بلادهما ولاسيما لما علما ان رجالها مشتغلون بانفسهم عن حماية المملكة فنهض فيلبس على بعض الجزائر ومدن الساحل ولكنهُ لم يستطع ان يتجد انطيوخس باسطولهِ ونهض انطيوخس لاسترداد غربي سورية وفلسطين وكل ما خسرهُ في واقعة رفح فبعث تلبوليوس وارستومينس جيشاً كثيفاً بقيادة القائد سكوباس فدخل سورية واوقع باليهود ثم التقى بجيوش انطيوخس فدارت الدائرة عليهِ واستولى انطيوخس على اورشليم وسائر مدن فلسطين وغربي سورية . وخاف رجال بطليوس من تقدُّم انطيوخس فكتبوا الى رومية يستنجدونها فارسلت رومية الى انطيوخس تحذرهُ من الامتداد في فتوحهِ الى مصر وسعى البعض في الصلح بين انطيوخس وبطليوس على ان انطيوخس يزوج ابنتهُ كليوباطرة لبطليوس ويعطيها البقاع والسامرة واليهودية وغيرها صداقاً

ثم التهت مقاليد البلاد لارستومينس فاحسن سياستها وانقذها من الفوضى والافلاس وردَّ اليها ما خسرتهُ من السلطة فقاومهُ القائد سكوباس المار ذكرهُ فحاكمهُ ارستومينس وحكم عليهِ وعلى اهل بيتهِ ان يقتلوا انفسهم بشرب السم واستولى على اموالهِ وكانت كثيرة جداً لانهُ كان مشهوراً بالطمع . ورأى رجال السلطة حينئذٍ انهُ يحسن بهم ان يسلموا الملك ازمَّة الاحكام فيزيد خضوع الشعب لهُ وتتقي الفتن فاعطوا انهُ استلم ازمَّتها واختفلوا بذلك احتفالاً عظيماً كُتب وصفهُ باليونانية والهيروغلفية والديموتية وهي الكتابة التي وجدت على الحجر الرشيدي وكانت مفتاحاً لقراءة الكتابات المصرية القديمة

وتاريخ الكتابة على هذا الحجر اليوم الثامن عشر من الشهر الثاني من فصل برت من السنة التاسعة لبطليوس الخامس ويقال فيها ان الكهنة اتوا من البلاد كلها واجتمعوا في منف

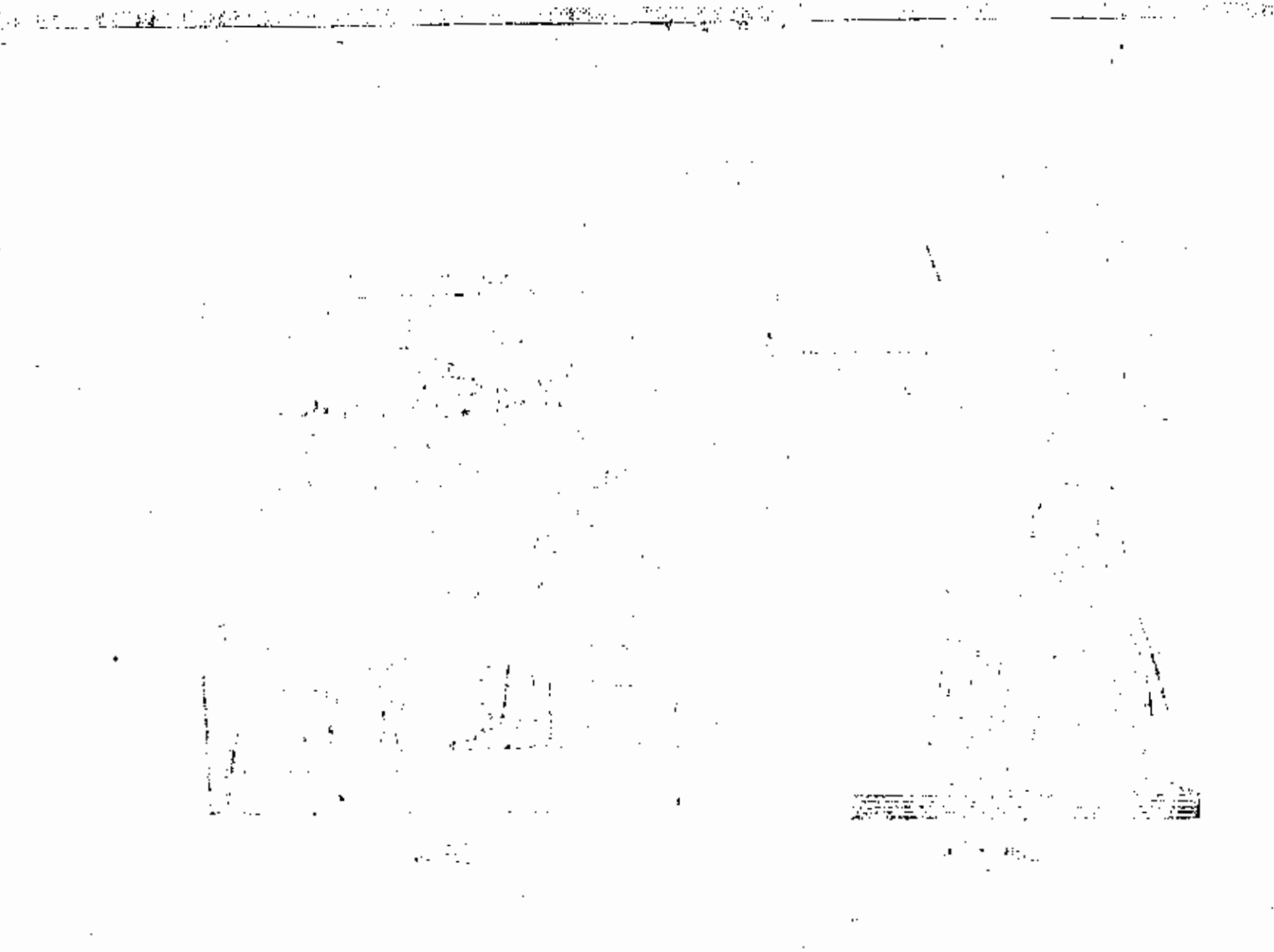

الشكل الثاني

الشكل الأول

احتفالاً بتسليم زمام الاحكام لبطليموس ايفانيس الذي اظهر اكرامهُ للآلهة ووهب النفقات اللازمة للهياكل وتجاوز عن بعض الضرائب وخفَّف البعض الآخر واطلق المسجونين وعفا عن العصاة وجهز سفناً وجيوشاً لحماية البلاد وهياكلها وفتح مدينة ليكوبوليس عنوة بعد ان استولى العصاة عليها وقاصَّ زعماءهم ووهب الهبات لمياكل الثيران المقدسة ورتَّب امر دفنها ورمَّم الهياكل والمعابد في البلاد كلها ولانهُ فعل ذلك كلهُ اعتمدوا على ان يزيدوا اكرامهُ واكرام اسلافهِ ويقيموا لهُ تمثالاً في كل هيكل

ويلي ذلك كلام عن كيفية عمل تلك التماثيل وعبادتها وحملها في المواكب . وعن ان يوم ميلاد الملك ويوم تتويجهِ يجب ان يكونا عيدين وطنيين . وان ذلك كلهُ يجب ان ينقش على صفائح من الحجر بالهيروغليفية والديموتية واليونانية وتوضع نسخة منهُ في كل هيكل من هياكل الدرجة الاولى والثانية والثالثة

اما الالقاب التي اختارها بطليموس لنفسهِ او لقبهُ بها وزراؤهُ ومتملقوهُ فهي « الولد الذي ينهض مثل ملك الجنوب على عرش ابيهِ . الجبَّار المضاعف القوَّة . مقوي البلادين . مجمِّل مصر الطاهر القلب لدى الآلهة محبي الناس . رب مواسم الثلاثين سنة الاله الجميل الحي المنبثق من را ابن ارباب خمانو ابن التاج الابيض وابن التاج الاحمر الذي رضع لبان الالهة ارهكات » . الى غير ذلك من الترهات التي كان الكهنة يدجلون بها على الملوك ويدجل الملوك والكهنة بها على الشعب . وتوجد صورهُ حتى الآن وهو يقدم القرابين للمعبود خومو كما ترى في الشكل الاول او لابساً ملابس الكهنة يطلق البخور امام الالهة كما ترى في الشكل الثاني

وبعد ثلاث سنوات سار بطليموس هذا بموكب عظيم الى رفح للملاقاة عروسهِ كليوباطرة ابنة انطيوخس ملك سورية وتزوَّج بها هناك واعطاها ابوها غربي سورية وفلسطين في صداقها لكنهُ ابقى فيهما حامية سورية

وسارت امور البلاد على ما يرام كل المدة التي كان بطليموس يعمل فيها بمشورة وزيرهِ ارستومينس ولكن المتملقين المداهنين صرفوهُ عنهُ واحفظوهُ عليهِ فامرهُ بالانتحار ثم انغمس في الملاهي والملذات

ولم تكشف آثار كثيرة من عهد هذا الملك لان الثورة التي فشت في الوجه القبلي سنة السنة السادسة عشرة من ملك ابيهِ لم تخمد نارها الاَّ في السنة التاسعة عشرة من ملكهِ والمرجح انهُ حكم الصعيد في تلك الآونة ملكان وطنيان جعلا كرسي ملكهما في طيبة وهما هروخوتي وانخمخو . وكانت مدة ملكهما عشرين سنة

وبطليموس الخامس اقل البطالسة شهرة وكان ضعيف الرأي كسولاً كذوباً لا يؤمن شرهُ ولا تصدق كلمة عمى عليهِ وجوه ليكوبوليس (اسيوط) ثم امنهم فاستأمنوا لكنهُ خان عهدهُ معهم وعذَّبهم اشد العذاب وعصاهُ غيرهم ثم استأمنوا فامنهم ولما صاروا في يدهِ ربطهم الى المركبات وجرَّهم في الشوارع ثم عذَّبهم عذاباً اتياً الى ان ماتوا

وسنة ١٨٢ قبل المسيح حاول جمع الجنود والخروج لقتال الملك سلوقس الرابع الذي خلف اباهُ انطيوخس ليسترد منهُ فلسطين وغربي سورية ورأى وجوه المصريين هذه الحرب عبئاً ثقيلاً عليهم فدسوا لهُ السم فمات مسموماً وعمرهُ ٢٨ سنة وترك ولدين خلفاهُ على سرير الملك

مفاخر اهل الادب

من العجم والعرب

لعلَّ أبرع شعر نظمهُ العرب جاهليتهم ومحدثوهم انما هو من باب الفخر ولعلَّ اعظم فخير فيهم ضرًّا ابو الطيب المتنبي اذ لا تكاد قصيدة من قصائدهِ تخلو منهُ . ولو جئت تبوّب الشعر العربي لكفتك اربعة ابواب الغزل والمدح والفخر والرثاء . بل ان القصيدة الواحدة قد تتضمن الاربعة معاً . خذ قصيدة المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة الصغرى فانهُ استهلها بمدح سيف الدولة فقال

ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلا تكن الافضل الاعزَّ الاجلاَّ

واتبع الاستهلال باثنين وعشرين بيتاً كلها مدح لسيف الدولة وفيها اشارة خفية الى الحزن والاسى والتعزية والسلوان وغير ذلك مما يتطلبهُ الرثاء . ثم تخلص الى الرثاء ثم عاد يمدح . وخذ قصيدتهُ في رثاء والدة سيف الدولة . فانهُ بدأها بالفخر بصبره على رزايا الدهر فقال

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبالِ
فصرت اذا اصابتني سهام تكسرت النصال على النصالِ

ثم تخلص الى التغزل بجمالها وخصالها فقال

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمالِ